

الحلبيون باتفاق مع طرف ثالث إلا بعد موافقته، غير أن سيف الدين غازي الأول (ت. 544هـ/1149م) صاحب الموصل، دفع صاحب حلب إلى نقض الهدنة، عندئذ أعلن صلاح الدين الحرب عليهما، وحتى يقطع الطريق على تحركاتهما، ولا يتهم بأنه يقاتل من أجل مطامع شخصية، فيخسر مساندة الخلافة له، فإنه كتب إلى الخليفة العباسي ليُطلع على الواقع السياسي، ويطلب منه أن يحذرهما من نقض العهد، وأن يمنحه الحق في قتالهما إن أصراً على موقفهما، كي لا يتهم بقتال المسلمين، وترك قتال الصليبيين⁽¹⁴⁾.

ولما تقرر إسقاط الخلافة الفاطمية، خشي صلاح الدين الإنصياح لطلب نور الدين محمود في قطع الخطبة للفاطميين فوراً؛ لأن ذلك يدفعه إلى انتزاع مصر منه، فكان صلاح الدين قد اعتذر بسبب خوفه من وثوب أهل مصر، وامتناعهم من الاستجابة إلى ذلك لميلهم لدولة العبيدية (الفاطمية)⁽¹⁵⁾، إذ إن المؤثرات الشيعية كانت لا تزال قوية في مصر⁽¹⁶⁾.

وفي سنة 567هـ/1171م قطع صلاح الدين الخطبة في مصر للخليفة العاضد الفاطمي، وأقامها للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي وأعاد السواد شعار العباسيين⁽¹⁷⁾، وقد تم هذا التحول في هدوء⁽¹⁸⁾، وأعيدت بذلك الوحدة المذهبية للعالم الإسلامي في الشرق الأدنى أي تحت نفوذ أهل السنة، والوحدة السياسية بين بلاد الشام ومصر، وتسلم صلاح الدين القصر الفاطمي⁽¹⁹⁾.

وبعد هذا الانتصار الذي حققه السلطان صلاح الدين الأيوبي، قام الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله بإرسال الخلع إلى نور الدين، وصلاح الدين ومعهما الرايات السود شعار العباسيين⁽²⁰⁾. والشيء الملاحظ أن الدولة الأيوبية لم تكن مهتمة بالقضايا السياسية فحسب بل أولت اهتماماً بالحياة العلمية وهذا ماسنبيته في مايلي.

وكانت علاقة الدولة الأيوبية بالخلافة العباسية متميزة بالود، والتعاون ذلك أن صلاح الدين الأيوبي انتهج نهج سلفه نور الدين محمود بُجَاه الخلافة، بحيث ابتدأت علاقته الجيدة بالخلافة منذ 567هـ/1171م يوم أن كان وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد، فطلب منه الخليفة العباسي آنذاك بقطع الخطبة للفاطميين، ويدعو للعباسيين على منابر مصر، فاستجاب صلاح الدين لذلك احتراماً لمقام الخلافة التي يدين لها بالطاعة والولاء. ولكن بعد وفاة نور الدين محمود اضطربت الأوضاع في بلاد الشام بسبب الخلافات بين الأمراء، فاستغل الصليبيون هذا الظرف، وهاجموا الأراضي الإسلامية مما استدعى تدخل صلاح الدين، وحتى يعطي لتدخله مسوغاً شرعياً، ويحافظ على ما سيحققه من إنجازات، كتب إلى الخليفة العباسي يصور له أوضاع بلاد الشام السياسية المضطربة، وبيّن جهوده التي قام بها في مصر حتى قضى على الخلافة الفاطمية، وأعاد الخطبة للعباسيين، ثم تصدّى للصليبيين عندما هاجموا الإسكندرية في 570هـ/1174م، وأوضح له سبب ضم اليمن لضرب المهدي المبتدع⁽¹²⁾، وأعقب كل ذلك برجائه من الخليفة أن ينعم عليه بتوليته مصر، والمغرب، واليمن، والشام، وكل ما تشتمل عليه ولاية نور الدين محمود⁽¹³⁾.

كان الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (ت. 575هـ/1180م) قد استجاب لطلب صلاح الدين، وولاه حكم مصر والشام، ولا شك أن هذا دليل على اعتراف الخلافة العباسية بسلطنة صلاح الدين الأيوبي باعتباره الشخصية المؤهلة للدفاع عن المسلمين. ورغم ما حظي به صلاح الدين من نفوذ، كان بحاجة إلى مساندة الخلافة في صراعه مع الأمراء المناوئين، ومن ذلك أنه اتفق في سنة 571هـ/1175م مع الملك الصالح إسماعيل صاحب حلب على شروط معينة، انسحب بموجبها من أمام المدينة، وأن لا يدخل

2- مكانة العلم عند ملوك وسلاطين الدولة الأيوبية:

عُرف سلاطين وملوك بني أيوب باهتمامهم بالحياة العلمية، وهذا ما أشارت إليه المصادر التاريخية، ويدخل هذا التوجه ضمن السياسة الداخلية للدولة التي تبنيتها منذ نشأتها، وفي هذا السياق نستهلل حديثنا عن السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت. 589هـ/1193م) الذي لم تصرفه انشغالاته في توحيد الجبهة الإسلامية، ومواجهة تحديات الغرب الأوربي الصليبي عن الاهتمام بالعلماء وتقريبهم إلى دولته ومجالسه. ومن الشواهد التاريخية على ذلك ما ذكرته المصادر التي ترجمت لشخصيته بأنه كان شغوفاً بتحصيل العلم، وهذا ما أكدته المحدث والمؤرخ أبو شامة (ت. 665هـ/1267م) بقوله: «وكان مداومة الكلام مع الفقهاء ومشاركة القضاة في القضاء أعلم منهم بالأحكام الشرعية...»⁽²¹⁾. وأيضاً عبد اللطيف البغدادى (ت. 629هـ/1231م) لما زار القدس وصف صلاح الدين قائلاً: «فرايت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة والقلوب محبة قريباً بعيداً سهلاً مجيباً وأصحابه يتسابقون إلى المعروف، كما قال تعالى: «وَتَرْعَنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ»⁽²²⁾، وأول ليلة حضرتها، وجدت مجلساً حافلاً بأهل العلم يتذكرون في أصناف العلوم، وهو يحسن الاستماع والمشاركة...»⁽²³⁾.

وكان شديد الرغبة في سماع الحديث النبوي، وإذا سمع بمحدث متضلع استحضره إلى مجلسه أو حضر عنده⁽²⁴⁾، ويؤثر سماع الحديث بالأسانيد⁽²⁵⁾، ويجب سماع القرآن، ويشترط في الإمام الذي يسمعه أن يكون عالماً بالقرآن ومتقناً له، وكان يستقرئ من يحرسه في الليل وهو في برجه جزأين أو أكثر، ويروى عنه أنه اجتاز على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته، وقربه وأوقف له ولأبيه جزءاً من مزرعة، وفضلاً عن ذلك كان إذا سمع القرآن يخشع

قلبه وتدمع عيناه⁽²⁶⁾. وكان من شدة شغفه لسماع الحديث النبوي أنه سمعه حتى في غزواته،⁽²⁷⁾ وأما عنايته بعلم الفقه فتتجلى بوضوح في أنه كان يحفظ كتاب «التنبية» في الفقه⁽²⁸⁾، لأبي إسحاق الشيرازي (ت. 476هـ/1083م)، حيث ذكر ابن شداد أنه قرأ عليه كتاباً مختصراً في الفقه من تصنيف الفقيه سليم الرازي (ت. 447هـ/1055م)⁽²⁹⁾. وبلغ به الاهتمام بالفقهاء إلى ملازمة حضور دروسهم الوعظية، وفي كثير من الأحيان يصحب أبناءه معه لسماعها كدروس الفقيه زين الدين بن نجاشي (ت. 599هـ/1202م)⁽³⁰⁾، ودروس الشيخ أبي الفتوح عبد السلام بن يوسف التنوخي (ت. 582هـ/1186م)⁽³¹⁾. ومن مظاهر توقيره للعلماء والفقهاء أنه إذا دخل الفقيه إلى مجلسه يقوم له، ويمشي بين يديه ويجلسه إلى جانبه، كأنه أقرب الناس إليه، وهذا ما يؤكد ابن شداد (ت. 632هـ/1234م) بقوله: «وكان يجلس في كل يوم الاثنين، والخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء، والقضاة، وكان يفعل ذلك سفرًا وحضرًا»⁽³²⁾. وبالإضافة إلى ذلك ما فتئ يمنحهم الهبات والهدايا، ويرى أن ذلك حق لهم من بيت المال وليس منه، وهذا اقتداء بسلفه نور الدين (ت. 569هـ/1173م)، الذي يرى أن للفقهاء في بيت المال حقاً لهم⁽³³⁾. وكذلك من مظاهر اهتمامه بالحياة العلمية تأسيسه للمدرسة الصلاحية التي قيل أنشأها نور الدين محمود زنكي⁽³⁴⁾، ونُسبت إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولعل سبب ذلك كون أن صلاح الدين هو الذي تولى تنشيط الحركة العلمية بها بعد وفاة نور الدين، وهي تقع على مقربة من البيمارستان النوري⁽³⁵⁾.

وكان الملك الأفضل (ت. 622هـ/1225م) الذي استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه سنة 589هـ/1193م⁽³⁶⁾، مهتماً بالعلم فسمع بالإسكندرية من أبي طاهر بن عوف (ت. 581هـ/1185م)⁽³⁷⁾، وأبي

الرفيعة، وذلك بالنفقة عليهم وإكرامهم، ووصلهم بالعطايا⁽⁵⁰⁾، وفي مقدمة هؤلاء نجد المحدث بن أبي بكر الزبيدي (ت. 631هـ/1233م) الذي استدعاه من بغداد، وسمع عليه الحديث، وكان يحسن إليه ويكرمه⁽⁵¹⁾. وكذلك الفقيه والمؤرخ سبط ابن الجوزي (ت. 654هـ/1256م) الذي كان يوقره، ويحضر مجالس وعظه بدمشق، والفقيه عبد العزيز بن عبد السلام (ت. 660هـ/1262م)، فهو من جلسائه، وغيره⁽⁵²⁾. واعتنى الملك الأشرف أيضا بالأطباء، منهم الطبيب إبراهيم بن عبد الجبار السلمي (ت. 604هـ/1207م)، وأجرى له جامكيه (راتب)⁽⁵³⁾، ومحمود الشيباني بن رقيقة (ت. 635هـ/1237م)، الذي خدمه بالطب، وصنف له كتابا سماه «الفريدة الشامية والقصيدة الباهية» وشرحها شرحا بليغا⁽⁵⁴⁾.

والسلطان المعظم عيسى (ت. 624هـ/1227م) هو الآخر يُعد من الشخصيات البارزة في الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي خلال العصر الأيوبي، فقد أخذ العلم منذ صغره بمصر والشام على يد كبار علماء عصره حتى أصبح متمكنا في عدة علوم، وفي مقدمتها الفقه على المذهب الحنفي الذي أخذه عن الإمام الفقيه الحصري (ت. 636هـ/1238م). ومما يؤكد اهتمامه بالعلم أنه كان يبالي في إكرام العلماء وطلبة العلم، الأمر الذي جعلهم يقدون إليه من مختلف أنحاء العالم الإسلامي⁽⁵⁵⁾. ومن الشواهد على ذلك أن بعض طلبة العلم كانوا لا يفارقونه سفرا ولا حضرا، بحيث كان سخاؤه وكرمه عاملا في جلبهم إليه⁽⁵⁶⁾.

ويذكر عنه أنه كان يكرم العلماء الذين يقصدون دولته، وينفق عليهم الجرايات الوافرة، ويقرهم ويستفيد منهم ويفيدهم، وهذا ما ينهض دليلا على أنه كان يتناقش معهم ويتبادل معهم الأفكار والآراء⁽⁵⁷⁾، ويبحث معهم وينظر⁽⁵⁸⁾. وفي هذا السياق نورد شهادة المؤرخ أبي شامة (ت. 665هـ/1266م) أحد معاصريه، إذ

محمد بن بري النحوي (ت. 582هـ/1186م) وغيره. ومما يدل على رسوخه في علم الحديث، ومكانة هذا العلم عنده، أنه قدحاز على إجازة فيه من شيوخ عصره كابن مسعود البوصيري (ت. 598هـ/1201م)⁽³⁸⁾. وأما اللغة العربية فأخذها من تاج الدين الكندي (ت. 613/1216م)⁽³⁹⁾، والفقيه اللغوي محمد بن مسعود المسعودي (ت. 584هـ/1188م)⁽⁴⁰⁾. وكان الملك الأفضل يوقر علماء عصره منهم المقرئ تاج الدين الكندي (ت. 613هـ/1217م)، الذي كان يتردد إليه في منزله طلبا للعلم⁽⁴¹⁾، والقاضي الفقيه بهاء الدين بن شداد (ت. 632هـ/1234م) الذي اعتمد عليه بعد وفاة والده، بحيث كان يشاوره في مهمات الأمور⁽⁴²⁾. والقاضي ضياء الدين بن الأثير (ت. 611هـ/1214م)⁽⁴³⁾.

وعُرف أيضا الملك الأشرف موسى بن العادل (ت. 635هـ/1237م) بحبه للعلم، والعناية بأماكن التعليم، فقد أخذ العلم عن شيوخ عصره، وطلب الحديث من عمر بن طبرزد (ت. 607هـ/1210م)⁽⁴⁴⁾ وابن الزبيدي (ت. 631هـ/1223م)⁽⁴⁵⁾، الذي سمع عليه صحيح البخاري في قلعة دمشق، والفقيه المحدث اليونيني (ت. 658هـ/1259م)⁽⁴⁶⁾. وأما شيوخه في الفقه فمنهم سبط ابن الجوزي (ت. 654هـ/1256م)، والفقيه عبد العزيز بن عبد السلام (ت. 660هـ/1262م)⁽⁴⁷⁾ الذي قرأ عليه كتاب مقاصد الصلاة في اليوم ثلاث مرات⁽⁴⁸⁾. وبالإضافة إلى ذلك تجلت أعماله في الحياة العلمية في الأوقاف الكثيرة، مثل جامع الزيتونة بالعتيقة في دمشق، الذي كان حانة ودار قمار، فقام بمدها وبنائها جامعا، وجعل خطيبه على المذهب الشافعي، وبنى أيضا للحنابلة دارا للحديث بالسفح⁽⁴⁹⁾.

ولم يختلف الملك الأشرف عن نهج سلفه من بني أيوب في الاهتمام بالعلم، ولقي العلماء عنده المكانة

قال: «وتفرد الملك المعظم من بين الملوك بالجمع بين مواظبة الغزو والاشتغال بأنواع العلوم...»⁽⁵⁹⁾، وذكر ابن واصل (ت. 667هـ/1268م) في هذا الصدد أنه وقف على نسخة من كتاب سيبويه وعليها خط المعظم، حيث يقول: «أتممت هذا الكتاب مطالعة ومراجعة وأنا بمنازل مدينة أرسوف، وفي بعضها يقول: أتممته وأنا بنابلس».⁽⁶⁰⁾ وفي الفقه، فإنه لما كان على مذهب أبي حنيفة، أمر الفقهاء أن يجردوا له مذهب أبي حنيفة، فكتبوه له في عشر مجلدات، وسمّاه «التذكرة»، وكان دائم الاطلاع فيها، ولا يفارقه سفرًا ولا حضرًا⁽⁶¹⁾، ثم إنه كتب على ظهر كل مجلد أنماه حفظًا عيسى بن أبي بكر، فقال له سبط ابن الجوزي: ربما يؤخذ هذا عليك؛ لأن أكبر مدرس في الشام يحفظ القدوري⁽⁶²⁾ (ت. 428هـ/1037م) مع تفرغه، وأنت مشغول بتدبير الممالك، وتكتب خطك على عشر مجلدات أنك قد حفظتها، فقال: «ليس الاعتبار بالألفاظ وإنما الاعتبار بالمعاني، بسم الله فاسألوني عن جميع مسائلها، فإن قصرت كان الصحيح معكم، وإلا فسلموا إلى ما قلت»⁽⁶³⁾.

ومن الدلائل التي تبين أن المعظم كان يشجع طلب العلم أنه كان يقول من حفظ الجامع الكبير للفقيه للشيباني (ت. 189هـ/804م) أعطيته مائة دينار⁽⁶⁴⁾. وأما علم الحديث فقد حظي عنده بالاهتمام، وما يؤكد ذلك مجالسته لعلماء الحديث، وإكرامهم، وأمرهم أن يترتبوا له مسند الإمام أحمد⁽⁶⁵⁾ على أبواب الفقه، ثم يردّوا كل حديث إلى بابه الذي يخصّه، فيكون كتابًا جامعًا⁽⁶⁶⁾، فقعده له العلماء في الكلاسة بدمشق⁽⁶⁷⁾، ومن تولى هذا العمل المحدث عبد الله بن عبد الغني المقدسي (ت. 629هـ/1291م)، والمحدث الأشرف الأربلي (ت. 622هـ/1225م)⁽⁶⁸⁾.

وكان يعقد المجالس العلمية والأدبية داخل المسجد الأقصى⁽⁶⁹⁾، ذلك أنه تقدم إلى بيت المقدس سنة 623هـ/1226م، وجلس خارج الصخرة الشريفة، واستدعى جماعة من الفقهاء، وباحثهم في مسائل لغوية وفقهية⁽⁷⁰⁾. وفي الوقت نفسه لم يقتصر اهتمامه على علوم اللغة، والفقه، والحديث، بل كذلك أولى اهتمامًا بالأطباء الذين كانوا محل عنايته، كأبي سعيد بن المنى (ت. 613هـ/1216م)⁽⁷¹⁾، وأبي الفضل بن علي الصوري (ت. 639هـ/1241م)⁽⁷²⁾، الذي كان لا يفارقه حتى في جهاده ضد الغزوالأوروبي الصليبي، وحضر معه بدمياط، وألف له كتاب «الأدوية المفردة». وبالإضافة إلى ذلك نجد أبا العباس بن سعادة الخوي (ت. 637هـ/1239م) الذي استحضره وسمع كلامه، وأجرى له جامكية (مرتّب)، وجعله مقيمًا بدمشق، لينتفع الناس بعلمه، كما ولاه منصب قاضي القضاة بدمشق⁽⁷³⁾، ورضوان بن محمد الساعاتي (ت. 618هـ/1221م) الذي خدم المعظم وعلت منزلته عنده، حتى تولى الوزارة في دولته⁽⁷⁴⁾. كما تجلت مظاهر تنشيطه للحياة العلمية بإنشائه المدرسة المعظمية بدمشق سنة 621هـ/1224م، وأخرى بالقدس عند باب المسجد الأقصى، وبني بالقرب منها المدرسة النحوية المعظمية⁽⁷⁵⁾.

وكان أبو المعالي الكامل ناصر الدين (ت. 635هـ/1237م) متبعًا لمنهج سلفه في اعتناؤه بالعلم وجلبه للعلماء، وكان فقيهاً يحب أهل العلم ويؤثر مجالستهم وينظرهم، بل ويمتنحهم في مسائل غريبة من فقه ونحو، فمن أجاب عنها حظي عنده، وتشير المصادر أنه اعتاد عقد ندوة دورية مساء كل خميس يتناظر فيها مع العلماء، ويتناقشون معه⁽⁷⁶⁾. وهذا ما يؤكد أنه كان على نصيب وافر من العلم إذ أخذه من كبار الشيوخ والعلماء في عصره فقد سمع من أبي الحسين اليونيني (ت. 658هـ/1259م) الفقه، واستدعاه للحضور من بعلبك إلى دمشق فنزل عنده، وتعلم واستفاد منه⁽⁷⁷⁾. وفي هذا الصدد يطلعنا ابن رجب (ت. 795هـ/1392م)

وكان يعقد المجالس العلمية والأدبية داخل المسجد الأقصى⁽⁶⁹⁾، ذلك أنه تقدم إلى بيت المقدس سنة 623هـ/1226م، وجلس خارج الصخرة الشريفة، واستدعى جماعة من الفقهاء، وباحثهم في مسائل لغوية وفقهية⁽⁷⁰⁾. وفي الوقت نفسه لم يقتصر اهتمامه على علوم اللغة، والفقه، والحديث، بل كذلك أولى اهتمامًا بالأطباء الذين كانوا محل عنايته، كأبي سعيد بن المنى (ت. 613هـ/1216م)⁽⁷¹⁾، وأبي الفضل بن علي الصوري (ت. 639هـ/1241م)⁽⁷²⁾، الذي كان لا يفارقه حتى في جهاده ضد الغزوالأوروبي الصليبي، وحضر معه بدمياط، وألف له كتاب «الأدوية المفردة». وبالإضافة إلى ذلك نجد أبا العباس بن سعادة الخوي (ت. 637هـ/1239م) الذي استحضره وسمع كلامه، وأجرى له جامكية (مرتّب)، وجعله مقيمًا بدمشق، لينتفع الناس بعلمه، كما ولاه منصب قاضي القضاة بدمشق⁽⁷³⁾، ورضوان بن محمد الساعاتي (ت. 618هـ/1221م) الذي خدم المعظم وعلت منزلته عنده، حتى تولى الوزارة في دولته⁽⁷⁴⁾. كما تجلت مظاهر تنشيطه للحياة العلمية بإنشائه المدرسة المعظمية بدمشق سنة 621هـ/1224م، وأخرى بالقدس عند باب المسجد الأقصى، وبني بالقرب منها المدرسة النحوية المعظمية⁽⁷⁵⁾.

وكان يعقد المجالس العلمية والأدبية داخل المسجد الأقصى⁽⁶⁹⁾، ذلك أنه تقدم إلى بيت المقدس سنة 623هـ/1226م، وجلس خارج الصخرة الشريفة، واستدعى جماعة من الفقهاء، وباحثهم في مسائل لغوية وفقهية⁽⁷⁰⁾. وفي الوقت نفسه لم يقتصر اهتمامه على علوم اللغة، والفقه، والحديث، بل كذلك أولى اهتمامًا بالأطباء الذين كانوا محل عنايته، كأبي سعيد بن المنى (ت. 613هـ/1216م)⁽⁷¹⁾، وأبي الفضل بن علي الصوري (ت. 639هـ/1241م)⁽⁷²⁾، الذي كان لا يفارقه حتى في جهاده ضد الغزوالأوروبي الصليبي، وحضر معه بدمياط، وألف له كتاب «الأدوية المفردة». وبالإضافة إلى ذلك نجد أبا العباس بن سعادة الخوي (ت. 637هـ/1239م) الذي استحضره وسمع كلامه، وأجرى له جامكية (مرتّب)، وجعله مقيمًا بدمشق، لينتفع الناس بعلمه، كما ولاه منصب قاضي القضاة بدمشق⁽⁷³⁾، ورضوان بن محمد الساعاتي (ت. 618هـ/1221م) الذي خدم المعظم وعلت منزلته عنده، حتى تولى الوزارة في دولته⁽⁷⁴⁾. كما تجلت مظاهر تنشيطه للحياة العلمية بإنشائه المدرسة المعظمية بدمشق سنة 621هـ/1224م، وأخرى بالقدس عند باب المسجد الأقصى، وبني بالقرب منها المدرسة النحوية المعظمية⁽⁷⁵⁾.

الأولويات والقضايا المهمة التي تُسخر لها كل الجهود والإمكانات، كان معظم أفراد البيت الأيوبي قد تأثروا بهذه السياسة، ونذكر منهم: الأمير أسد الدين شيركوه (ت. 644هـ/1246م)، الذي أسس مدرسة جعلها مشتركة بين الشافعية والأحناف.⁽⁸³⁾ وكذلك بنى الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف (ت. 613هـ/1216م)، مدرسة بمحلة المنيع⁽⁸⁴⁾، ومدرسة أخرى داخل دمشق أنشأها الملك فلك الدين وهو أخو الملك العاد (ت. 596هـ/1199م)، وأوقف عليها قرية بكاملها⁽⁸⁵⁾. ومن مظاهر الاهتمام والعناية بالمدارس أنه إذا فرغ من عمارتها يقيم لها حفل افتتاح رسمي، إذ يحضره السلطان والعلماء والقضاة، وقد جرى ذلك على سبيل المثال عندما أكمل السلطان المعظم عيسى (ت. 624هـ/1227م) بناء مدرسة والده العادلية الكبرى⁽⁸⁶⁾، وكذلك لما أكمل الشيخ عبد الله بن الحسن البادرائي (ت. 655هـ/1257م) مدرسة بدمشق حضر الملك الناصر صلاح الدين يوسف، ورجال الدولة والعلماء والقضاة.⁽⁸⁷⁾

وبناء على ما أطلعنا به المصادر نستخلص أن ملوك بني أيوب اهتموا بالعلم، وقربوا العلماء إلى دولتهم، وكانت هذه الجهود عاملاً في رحلة علماء المغرب والأندلس إلى حواضر المشرق الإسلامي، وهذا ما يتجلى فيما يلي.

3- مساهمات الدولة الأيوبية في توثيق الصلات العلمية بين المشرق والمغرب:

لم تنحصر جهود الدولة الأيوبية في تنشيط الحركة العلمية بالمشرق الإسلامي في جلب العلماء، وبناء المدارس بل إنها عملت أيضاً على تمتين الصلات العلمية بين المشرق وبلاد الغرب الإسلامي، ففي دمشق جعل السلطان صلاح الدين جامعها يحتضن حلقات تدريس الطلبة، وخصص لهم أجراً معلوماً، وفي الجانب الغربي من المسجد أوقف فيه زاوية للمالكية

1393 م) في كتابه «ذيل طبقات الحنابلة» أن رجلين تناقشا في مسألة القتل بالمثل، وجرى ذكر حديث الجارية التي قتلها اليهودي، فرض رأسها بين حجرين، فأمر رسول الله ﷺ بقتله⁽⁷⁸⁾، فذكر أن الملك الكامل لم يعترف بذلك، فلما أكد الفقيه اليوناني أن ذلك موجود في صحيح مسلم، اعترف، وقال الكامل: «أنا اختصرت صحيح مسلم ولم أجد هذا فيه»، فقال: بلى، فأرسل الكامل فأحضره اختصاره لمسلم في خمسة مجلدات، فأخذ الكامل مجلداً والأشرف آخر، وعماد الدين بن موسك (ت. 644هـ/1246م)، والشيخ الفقيه مجلداً، فأول ما فتحه وجد الحديث كما قال فتعجب الكامل من سرعة استحضاره، وسرعة كشفه، وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية، ونتيجة لذلك كافأه الكامل بكمية كبيرة من الذهب.⁽⁷⁹⁾

ومن مظاهر اهتمامه بالعلم وتنشيطه للحياة العلمية، أنه كان يعقد مجلساً في ليلة الجمعة لأهل العلم، ويجلس معهم للمباحثة، وكانت تبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم، كالجبال اليمني النحوي (ق. 7هـ/13م)، والفقيه عبد الظاهر بن دحية (ت. 633هـ/1236م)، والأمير صلاح الدين الأربلي (ت. 631/1233م)، وهو أحد الفضلاء، فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ليُسامروه، في مسائل علمية، ويكرمهم بالأرزاق الوافرة، وهذه الصفات جعلته مقصداً للعلماء وطلبة العلم. ومن قصده التاج بن الأرموي (ت. 653هـ/1255م) وأفضل الدين الخونجي (ت. 646هـ/1248م)، والقاضي شمس الدين الأرموي (ت. 650هـ/1252م)، وهؤلاء يمثلون النخبة في عصره⁽⁸⁰⁾. ووُصف بأنه كان مؤثراً للكلام مع العلماء حضراً وسفراً⁽⁸¹⁾، ومن مصنفاته في علم الحديث مختصر صحيح مسلم في خمسة مجلدات.⁽⁸²⁾ ولما كانت سياسة السلاطين والأمراء الأيوبيين قائمة على تشجيع الحياة العلمية، وجعلها ضمن

يجتمع فيها الطلبة المغاربة ولهم أجر معلوم، ومن ثمة

أصبحت مرافق هذا الجامع تأوي الغرباء، ويذكر ابن جبير (ت. 614هـ/1217م) أنه وجد فقيها من اشبيلية. (88)

وكانت مصر هي الأخرى محل اهتمام صلاح الدين الذي جعل بها مسجد ابن طولون، موثلاً للوافدين من المغاربة يسكنونه ويخلقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر. (89)

وهذا ما يبين أنه اهتم بالوضع الاجتماعي للغرباء الذين يفدون إلى الإسكندرية، وغيرها من الحواضر لطلب العلم، وذلك بتوفير المرافق مثل الحمامات، ومراكز الإستشفاء (المارستانات). وأما أبناء السبيل من المغاربة فكان يُمنح لهم الخبز، وغيره من المستلزمات أثناء مرورهم بمصر في طريقهم إلى الحج⁽⁹⁰⁾. وفي هذا السياق نورد وصف ابن جبير لهذا الوضع قائلاً: «ومرافق الغرباء بهذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء، ولا سيما لحفاظ كتاب الله عز وجل، والمنتمين للطلب... فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد، ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها، فإذا كانت الهمة فقد وجدت السبيل إلى الاجتهاد، ولا عذر للمقصر إلا من يدين بالعجز والتسويق، فذلك من لا يتوجه هذا الخطاب عليه... ثم يضيف قائلاً: فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك، فادخل أيها المجتهد بسلام...»⁽⁹¹⁾

ومن خلال هذا النص يمكن القول أن دعوة ابن جبير لأهل المغرب للرحلة إلى بلاد المشرق، والإقامة بها تؤكد أنها كانت محيطاً مهياً لكل من رام أن يحصل علماً، أو ينشر علمه في المساجد، والمدارس وهذا بسبب توفر مختلف المؤسسات العلمية، والظروف المناسبة التي جعلت أهل المغرب والأندلس من طلبة العلم يفدون إلى حواضر بلاد المشرق باعتبارها منارات للعلم والثقافة

الإسلامية.

ومن الوافدين من بلاد الأندلس في فترة حكم صلاح الدين الأيوبي الفقيه أبو يحيى الغافقي الأندلسي (ت. 575هـ/1180م)، الذي أخذ العلم عن أبيه، وعلماء عصره، ورحل إلى مصر فأكرمه الناصر صلاح الدين، وكان فقيهاً، ومقرئاً، وحافظاً نسابه، وله تاريخ المغرب، سَمَّاهُ «المغرب في أخبار محاسن المغرب»، جمعه للسلطان صلاح الدين بمصر بعد أن رحل إليها من الأندلس سنة 560هـ/1164م، وهو متهم في تأليفه. (92)

والمقرئ أبو القاسم الشاطبي (ت. 590هـ/1194م)، وهو من أشهر علماء القراءات يومئذ فقد دخل مصر، وأخذ العلم بالإسكندرية من أبي طاهر السلفي، ثم توجه إلى القاهرة فأكرمه القاضي الفاضل (ت. 596هـ/1200م)، وجعله بالمدرسة الفاضلية شيخها، وجلس للإقراء، وبعد فتح صلاح الدين القدس زاره سنة 589هـ/1193م، ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يقرئ حتى توفي سنة 590هـ/1194م⁽⁹³⁾، وصارت هذه المدرسة من أشهر المدارس الأيوبية التي اختصت بعلم القراءات. (94)

ومن الشواهد التي تنهض دليلاً على ذلك أن أبا القاسم الشاطبي (ت. 590هـ/1194م) قد ألف قصيدته الموسومة «بالشاطبية» في المدرسة الفاضلية، وذكر أنه ابتداءً أولها بالأندلس، ثم أكملها بالقاهرة⁽⁹⁵⁾. وقد أفادنا ابن الجزري (ت. 833هـ/1429م)

بالقيمة العلمية لهذه القصيدة، حيث قال: «فإني لا أحسب أن بلدًا من بلاد الإسلام يخلو منها، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به...»⁽⁹⁶⁾. وهذا ما أضفى على المدرسة الفاضلية مكانة علمية راقية، مما جعل الطلبة يفدون إليها من كل أنحاء العالم الإسلامي ليأخذوا العلم بها لاسيما علم القراءات.

والمستتبع لمسار الحركة العلمية بالمشرق الإسلامي

دحية (ت. 633هـ/1239م)، وأبو عمرو بن دحية (ت. 634هـ/1237م).⁽⁹⁹⁾

ولم تكن القدس بمنأى عن النشاط العلمي الذي شهدته المشرق الإسلامي يومئذ بحيث خُصّصت للمذهب المالكي المدرسة الأفضلية، التي تُنسب إلى مؤسسها الملك الأفضل نور الدين بن الملك الناصر (ت. 622هـ/1225م)، وأوقفها سنة 589هـ/1193م على فقهاء المالكية الذين قدموا إلى بيت المقدس، وأقاموا فيها، وكان أكثرهم من أهل المغرب. وهذا ما يوضح مدى ازدهار الحياة العلمية في بيت المقدس خلال العصر الأيوبي، وكان من الطبيعي أن يقوم فقهاء المالكية في هذه المدرسة بتدريس كتب الفقه المالكي⁽¹⁰⁰⁾.

ومن الوافدين ابن دحية الكلبي (ت. 633هـ/1236م) الأديب، والمؤرخ، والمحدث، من أهل سبتة. رحل إلى مراکش، والشام، والعراق، وخراسان، واستقر بمصر، وكان كثير الوقعة بالعلماء، والأئمة فأعرض بعض معاصريه عن كلامه، وكذبوه في انتسابه إلى "دحية"، وهجاه الشاعر بن عُنَيْن (ت. 630هـ/1232م)⁽¹⁰¹⁾.

وكان ابن دحية مع معرفته للحديث يُتهم بالمجازفة والنقل، وقد علم الملك الكامل بحاله فأمره أن يكتب تعليقا على كتاب شهاب الأخبار، في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية للمؤرخ والمفسر القضاعي (ت. 454، 1062م) فعلق عليه، وطعن في بعض الأحاديث النبوية التي فيه وصحح البعض، ولما وقف الملك الكامل على ذلك قال له: قد ضاع مني ذلك الكتاب فعلق لي مثله ففعل، ولم تكن عنده مسودة من الكتاب الأول، فلما فرغ منه جاء الكتاب الثاني مناقض لما في الأول، عندئذ أدرك الكامل صحة مانسب إلى ابن دحية، فعزله عن مشيخة دار الحديث، وولى أخاه أبا عمرو بن دحية⁽¹⁰²⁾.

وقد كانت بين ابن دحية والملك الكامل مراسلات

في عهد الملك الكامل (ت. 635هـ/1237م) يلحظ أن هذا الأخير كان يجلب إليه العلماء من المغرب لمد جسور التواصل، والإفادة من خبراتهم العلمية، ومن الشواهد التاريخية على ذلك ما ذكره المقري (ت. 1041هـ/1631م) في كتابه «نفح الطيب» أن بعض المغاربة كتب إلى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة في ورقة بيضاء، إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية، وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قرئت في الظل كانت حبراً أسود، وفيها هذه الأبيات:

لئن صَدَنِي البحرُ عن مَوْطِنِي

وَعَيْنِي بِأَشْوَاقِهَا زَاهِرُهُ

فقد زحرفَ اللهُ لي مَكَّةَ بأنوار

كَعَبْتِهِ الزَاهِرُهُ

وَزَحْرَفَ لي بالنبي يَثْرِبَا

وبالملك الكامل القَاهِرُهُ

فقال الملك الكامل قل:

وَطَيْبَ لي بالنبي طَيْبَةُ

وبالملك الكامل القَاهِرُهُ⁽⁹⁷⁾

لقد بينت هذه الأبيات الشعرية مدى شغف، وشوق المغاربة لمجاورة القاهرة، والتفرغ لطلب العلم في مراكزها العلمية، والنهل من علمائها، أو لنشر ما عندهم من علم في مساجدها، ومدارسها وما يعزز هذه الحقيقة ويؤكد أنها أن الملك الكامل (ت. 635هـ/1237م) أنشأ المدرسة الكاملية في حدود 622هـ/1225م، وكانت تُعرف بدار الحديث؛ لأن واقفها قد جعلها لتدريس علم الحديث والمشتغلين به ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية⁽⁹⁸⁾.

وتولى التدريس بها أبو الخطاب بن

منها هذه الأبيات التي كتبها أبو الخطاب إلى الكامل:
ولا حاكم أرضه بَيني وَبَينها ...
سوى حاكمٍ دَهري لَهُ اليوم طائِعٌ يُدافع عني الضَّيم قائم
سَيَفُه ...

إذا عَزَّ مَنْ للضَّيم عتي يُدافعُ

هُوَ الكَامِلُ الأَوْصافُ وَالْمَلِكُ الَّذِي

تُشِيرُ إِلَيْهِ بِالْكَالِ الْأَصَابِعُ

وَبَيْضُ أَيْادِيهِ الْكَرِيمَةُ فِي الْوَرَى

قَلَانْدُ فِي الْأَعْنَاقِ وَهِيَ الصَّنَائِعُ

وَيَوْمَاهُ يَوْمَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا

إِذَا جَمَعَتْ غَلَبَ الْمُلُوكِ (103)

ويظهر من خلال هذه الأبيات أن الملك الأيوبي الكامل كان يُوقر أبا الخطاب بن دحية، ويكرمه مما جعله يشيد بمنابك الكامل وخدماته الجليلة للرعية.

ومن الوافدين إلى حواضر المشرق من المغرب الأوسط ابن معطى الزواوي النحوي الحنفي (ت. 628هـ/1230م)، وهو من الشخصيات العلمية المشهورة في تاريخ الجزائر خلال العصر الوسيط الذي ذاع صيته في بلاد المشرق الإسلامي، فقد سافر إلى دمشق، واتصل بالملك المعظم عيسى سلطان الشام يومئذ الذي كان مهتما بالحياة العلمية، وأنه مافتى يشجع طلب العلم، وحظي ابن معطى بتكريم المعظم، وولاه النظر في مصالح المساجد. وهكذا اندمج ابن معطى في هذه الحركة العلمية، وتقرب من علماء ذلك العصر كبهاء الدين أبي محمد القاسم بن عساكر الابن (ت. 600هـ/1203م) الذي أخذ عنه علم الحديث، ويظهر أنه أخذ عنه أيضا الفقه، وتأثر به فاتخذ المذهب الحنفي مذهبا له بعدما كان على المذهب المالكي، وأصبح من كبار فقهاء المذهب الحنفي،

وبالإضافة إلى ذلك عاصر تاج الدين الكندي البغدادي، وكاننا يومئذ من أشهر أهل الأدب في دمشق⁽¹⁰⁴⁾. ولما توفي المعظم عيسى سنة 643هـ/1245م أرغبه الملك الكامل في الانتقال إلى مصر فسافر إليها، وتصدر بالجامع العتيق بمصر لإقراء الأدب، وقرر له أجرا معلوما، وكان الكامل يحضر عنده العلماء فسألهم مرة: زَيْدٌ ذَهَبَ بِهِ، هل يجوز في زَيْدٍ النَّصَبُ؟ فقالوا: لا. فقال ابن معطى: يجوز على أن يكون المرتفع يذهب به المصدر الذي دل عليه ذهب به وهو الذَّهَابُ، ويكون موضع به النصب، فيكون من باب زَيْدٌ مَرَزْتُ بِهِ، فأعجب الكامل، وقرر له أجرا، ومن ثمة اشتهر بالعلم في مصر، وتوجه إليه طلبة العلم، وصار مقصدا لكثير منهم للحصول على إجازة من شيخ العربية، ويذكر المنذري (ت. 656هـ/1258م) أن له إجازة من أبي معطى الزواوي، ولكن إقامة ابن معطى بمصر لم تدم طويلا إذ توفي سنة 628هـ/1230م، وتخرج عليه أئمة بمصر ودمشق⁽¹⁰⁵⁾.

ومن الأندلس وفد أبو مروان اللّخمي الباجي (ت. 635هـ/1237م)، وهو قاض أندلسي من الخطباء، وحدث بصحيح البخاري في الحجاز سنة 633هـ/1235م، وفي حجته الثانية قدم من سبتة في المحرم سنة 634هـ/1236م ووصل إلى مرسى عكة في شعبان ومنها إلى دمشق سنة 635هـ/1237م، وذكر أبو شامة أنه نزل بالمدرسة العادلية، وروى عن علماء هذه البلدان وروا عنه. ويظهر أن مكانته العلمية جعلت الملك الكامل يرسل نوابه للبحث عنه وإحضاره إليه، وكان الباجي قد دخل إلى قوص عقب أدائه مناسك الحج، وعبره البحر الأحمر إلى مصر، وسلوكه صحراء عيذاب إلى قنا، ثم إلى قوص فاستدعي للقاء والي المدينة الذي أكرم وفادته، ثم أخبر أن الكامل يرغب في توليته مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، مما يدل أن الكامل كان مدركا بالقدرات العلمية التي

صيتهم وانتشر علمهم، وكثرت الرحلات العلمية من بلاد الغرب الإسلامي إلى المشرق، وتعززت الصلات وتبادلات الخبرات العلمية. وكان هذا التواصل في الحقيقة عاملاً في تفاعل الموروث الثقافي المغربي والمشرقي مما أدى إلى نشوء علاقة التأثير والتأثر، وبالإضافة إلى ذلك نجم عن تلك العلاقات تمتين أواصر التضامن والتعاون بغية تحقيق مبدأ الأمة الواحدة التي لا تفرقها الحدود الجغرافية، والاختلافات العرقية بل يجمعها الإسلام في إطار الانتماء للحضارة الإسلامية، ومن ثمة تتحقق جبهة موحدة في فترة تداعي قوى الغرب الصليبي على العالم الإسلامي.

يجوز عليها الباجي ، غير أن هذا الأخير رفض، وظل يدعو على نفسه بالموت قبل لقاء الكامل حتى لا يضطر لقبول عرضه ذاك، وقد توفي لما دخل مصر بسنتين. (106)

وفي العلوم الطبية نذكر من الشخصيات الوافدة ابن البيطار (ت. 646هـ/1248م) الأندلسي، وهو عالم في النبات، خدم الملك الكامل، وكان يعتمد عليه في الأدوية والحشائش، وجعله في الديار المصرية رئيساً على العشابين، ومن بعده خدم ولده الصالح، وكان حظياً عنده، إلى أن توفي وله عدة مصنفات. (107)

ولم تقتصر رحلات المغاربة إلى مصر، وبلاد الشام بل توجهوا إلى الحجاز، وكان لهم دور في تنشيط الحياة العلمية خلال العصر الأيوبي ومن هؤلاء الشيخ أبو الحسن بن حمود الفاسي (ت. 573هـ/1177م)، وهو إمام المالكية بالحرم الشريف، يرجع أصله إلى مكناسة، حج سنة 512هـ/1118م، وتلقى العلم على يد أبي بكر الطرطوشي (ت. 520هـ/1126م)، ثم حج ثانية، وأصبح بعد ذلك إماماً بالحرم الشريف (108). وأيضاً وفد من مكناسة إلى مكة جمال الدين بن الفتوح المكناسي إمام المالكية بالحرم سنة 582هـ/1186م، وساهم في إثراء خزانة المالكية بمكة، ذلك أنه أوقف بها كتاب «المقرب» لابن زمنين المالكي (ت. 349هـ/960م)، للمالكية والشافعية، والحنفية الذين يقدمون إلى مكة. (109)

الخاتمة :

من خلال ماسبق ذكره وما أطلعنا به المصادر نستخلص أن جهود سلاطين وملوك الدولة الأيوبية في الحياة العلمية قد ساهمت في توثيق وتمتين الصلات العلمية، ومد جسور التواصل بين المشرق والمغرب خلال العصر الإسلامي الوسيط، وهذا ما يمكن المغاربة من نشر علمهم في حواضر المشرق الإسلامي، فذاع

الهوامش:

10- محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر

وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ط. 2، دار النفائس، بيروت، 1429هـ/2008م، ص. 17.

11 - أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ج. 3، ص. 405.

2 - طقوش، المرجع السابق، ص. 83.

3 - أحمد بن علي، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ط.، ج. 13، ص. 95؛ السيد الباز العريفي، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، الأيوبيون، د. ت. ط.، ص. 48.

4 - أبو شامة، المصدر السابق، ج. 2، ص. 395، 396؛ طقوش، نفسه، ص. 84؛ الزركلي، المرجع السابق، ج. 2، ص. 227؛ ج. 5، ص. 112.

5 - علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د. ت. ط.، ص. 156.

6 - طقوش، نفسه، ص. 36.

7 أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط. 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م، ج. 9، ص. 365 وما بعدها؛

Henri Laoust, les schismes dans - l'Islam, Paris, 1995, p. 200

8 - ابن الأثير، نفسه، ج. 9، ص. 365.

-حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. ت. ط.، بيروت، 1416هـ/1996م، ج. 4، ص. 10، الزركلي، الأعلام، ط. 5، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج. 3، ص. 243.

2 - دوين: بلدة من نواحي في أَران في آخر حدود أذربيجان «شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. 2، دار صادر، بيروت، 1995، ج. 2، ص. 491».

3 - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط. 1، دار صادر، بيروت، 1994، ج. 7، ص. 139؛ الزركلي، نفسه، ج. 1، ص. 316.

4 - الأجد الأيوبي، نسب الأيوبيين، نشره وقدمه د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، د. ت. ط.، ص. 41 وما بعدها.

5 -عالم بالأدب، مؤرخ، شيعي. من أهل حلب. الزركلي، نفسه، ج. 8، ص. 144.

6- الزركلي، نفسه، ج. 8، ص. 220.

7 - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، أبو شامة المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيق، ط. 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م، ج. 2، ص. 251.

8 - ابن خلكان، نفسه، ج. 8، ص. 141.

9 - أبو المحاسن يوسف، بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، د. ت. ط.، ج. 6، ص. 4.

- 29 - طقوش، نفسه، ص، ص. 36، 37.
- 29 - ابن شداد، نفسه، ص. 62.
- 20 - ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، د. ت. ط. ج. 1، ص، ص. 197، 198.
- 21 - ابن واصل، نفسه، ج. 4، ص.
- 377؛ الزركلي، نفسه، ج. 3، ص. 29
- 22 - سورة الأعراف، الآية: 42.
- 23 - البغدادي، عبد اللطيف، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، قدم له عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط. 2، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1998، ص. 43؛ الزركلي، نفسه، ج. 4، ص. 61.
- 24 - أبو المحاسن بماء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ط. 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/1994م، ص. 36؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، د. ت. ط. ج. 8، ص. 274.
- 25 - ابن شداد، نفسه، ص. 36.
- 26 - ابن شداد المصدر السابق، ص. 36.
- 27 - نفسه، ص. 51؛ أبو شامة، المصدر السابق، ج. 4، ص. 391.
- 28 - تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط. 2، دار هجر للطباعة والنشر، 1413هـ، المصدر السابق، ج. 7، ص. 340؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1941، ج. 1، ص. 89.
- 30 - سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج. 8، ص. 335؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن بن المحسن التركي، ط. 1، دار هجر للطباعة 1418هـ/1997م، ج. 16، ص. 725.
- 31 - أبو شامة، المصدر السابق، ج. 2، ص. 420؛ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت 1420هـ/2000م، ج. 16، ص. 266.
- 32 - ابن شداد، نفسه، ص. 41.
- 33 - أبو شامة، نفسه، ج. 1، ص. 48؛ ابن كثير، نفسه، ج. 16، ص. 521؛ الزركلي، نفسه، ج. 7، ص. 170.
- 34 - عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط. 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1990م، ج. 1، ص. 250.
- 35 - كرد علي، خطط الشام، دمشق، 1938، ج. 6، ص. 82.
- 36 - ابن خلكان، المصدر السابق ج. 3، ص. 419؛ الزركلي، نفسه، ج. 5، ص. 33؛ أبو شامة، ذيل الروضتين، عنى بنشره وطبعه السيد عزت العطار الحسيني دار الجليل، بيروت، ط. 2، 1974، ص. 145.
- 37 - ابن خلكان، نفسه، ج. 3، ص. 419.
- 38 - نفسه، ج. 3، ص. 419؛ الزركلي، نفسه، ج. 2، ص. 75.

- 39- ابن خلكان، نفسه، ج. 4، ص. 391.
- 40 - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط. دار الحديث- القاهرة، 1427هـ-2006م، ج. 15، ص. 356، الزركلي، نفسه، ج. 6، ص. 191.
- 41 - ابن خلكان، نفسه، ج. 3، ص. 419، 420؛ أبو شامة، نفسه، ص. 95؛ الزركلي، نفسه، ج. 3، ص. 57.
- 42 - ابن واصل، نفسه، ج. 3، ص. 8.
- 43- ابن واصل، نفسه، ج. 3، ص. 10، 11؛ ابن خلكان، نفسه، ج. 5، ص. 389 وما بعدها.
- 44- ابن طبرزدي (516هـ- 607هـ/1123م- 1210م)، عمر بن محمد بن عمر، محدث ومؤدب «ابن كثير، البداية والنهاية، ج. 17، ص. 15؛ الزركلي، نفسه، ج. 5، ص. 61؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ابن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق أنور الباز دار الوفاء - المنصورة، ط 1، 2004م) ج. 1، ص. 844، 845؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدميري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. 2، 1413هـ/1993م، ج. 46، ص. 269-228؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج. 5، ص. 334؛ عبد القوي، المنذري، التكملة لوفيات النقلة، حققه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، د. ت. ط، ج. 3، ص. 465.
- 45 - ابن الزبيدي (ت. 631هـ/1233م)، هو الحسن بن مبارك بن محمد بن سراج الدين، فقيه، وعالم باللغة والقرآن، أشهر مؤلفاته، البلاغة في الفقه. «الزركلي، المرجع السابق، ج. 2، ص. 253».
- 46 - اليونيني (ت. 658هـ/1260م) محمد بن أحمد بن عبد الله من سلالة جعفر الصادق، وهو من حفاظ الحديث الحنابلة، ولد في يونين وتوفي في بعلبك، كان مقرباً من السلاطين الأيوبيين، كالأشرف والكمال. «الزركلي، نفسه، ج. 5، ص. 322».
- 47- ابن كثير، المصدر السابق، ج. 1، ص. 844، 845؛ الذهبي، نفسه، ج. 46، ص. 268، 269؛ نفسه، ج. 5، ص. 334؛ المنذري، نفسه، ج. 3، ص. 465.
- 48 - السبكي، المصدر السابق، ج. 8، ص. 239.
- 49 - ابن كثير، المصدر السابق؛ الذهبي، نفسه، ج. 46، ص. 268، 269؛ ابن خلكان، نفسه، ج. 5، ص. 334؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج. 5، ص. 138 وما بعدها؛ ابن كثير، البداية، ج. 17، ص. 231، 232.
- 50 - ابن كثير، البداية، نفسه، ج. 17، ص. 231؛ أبو شامة، المصدر السابق، ص. 253؛ سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج. 8، ص. 472.
- 51 - ابن كثير، طبقات الفقهاء، ج. 1، ص. 844، 845.
- 52 - السبكي، نفسه، ج. 8، ص. 239؛ ابن كثير، البداية، ج. 17، ص. 343؛ الزركلي، نفسه، ج. 4، ص. 21.
- 53 - أحمد بن القاسم بن الخليفة أبو العباس، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار صادر، مكتبة الحياة، بيروت، د. ت. ط.، ص. 671، 672؛ محمد أحمد مهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، د. ت. ط.، ص. 53.

- 54 - ابن أصيبعة، نفسه، ص. 706-717. كثير، دمشق، بيروت، 1406هـ/1986م، ج. 7، ص. 201، 202.
- 55 - ابن واصل، المصدر السابق، ج. 4، ص. 214؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج. 10، ص. 425؛ ابن خلكان، نفسه، ج. 3، ص. 494؛ الزركلي، نفسه، ج. 7، ص. 161.
- 56 - ابن واصل، نفسه، ج. 4، ص. 214؛ ناصر محمد علي الحازمي، الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي (569هـ-659هـ/1173م-1260م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ، ص. 150.
- 57 - ابن الأثير، المصدر السابق، ج. 10، ص. 425 وما بعدها.
- 58 - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج. 16، ص. 123.
- 59 - أبو شامة، المصدر السابق، ص. 152.
- 60 - سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج. 8، ص. 378؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج. 17، ص. 53.
- 61 - سبط ابن الجوزي، نفسه، ج. 8، ص. 426.
- 62 - نفسه، ج. 8، ص. 426.
- 63 - نفسه، ج. 8، ص. 427؛ الزركلي، المرجع السابق، ج. 1، ص. 212.
- 64 - سبط ابن الجوزي، نفسه، ج. 8، ص. 427، الزركلي، نفسه، ج. 6، ص. 80.
- 65 - يذكر ابن عماد أنه سمع مسند الإمام أحمد بن حنبل كله «عبد الحي بن أحمد بن محمد، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه محمد الأرناؤوط، وخرّج أحاديثه، عبد القادر الأرناؤوط، ط. 1، دار ابن
- 66 - ابن الأثير، المصدر السابق، ج. 10، ص. 425.
- 67 - سبط ابن الجوزي، نفسه، ج. 8، ص. 424 وما بعدها.
- 68 - نفسه، ج. 8، ص. 424 وما بعدها.
- 69 - رشاد عمر المدني، الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي (491 - 690هـ/1098م - 1291م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، الجامعة الإسلامية، غزة، 1426هـ/2005م، ص. 162.
- 70 - ابن واصل، المصدر السابق، ج. 4، ص. 213.
- 71 - ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص. 589.
- 72 - نفسه، ص. 700 وما بعدها.
- 73 - نفسه، ص. 646، مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات التاريخية ط. الأولى 1416 مؤسسة الرسالة بيروت 1416هـ-1996م ص. 119.
- 74 - ابن أصيبعة، نفسه، ص. 661، 662؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج. 17، ص. 207؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو المهاجر محمد السعيد البسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ط. ج. 3، ص. 208.
- 75 - عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط. 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1990م، ج. 1، ص. 445.
- 76 - ابن خلكان، المصدر السابق، ج. 5، ص. 141؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج. 5، ص. 158؛ المقرئ،

- المصدر السابق، ج. 1، ص. 380؛ ابن ثغري، المصدر السابق، ج. 6، ص. 204؛ الملك الأشرف إسماعيل، الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاکر محمود عبد المنعم، دار البيان، دار التراث الإسلامي، بغداد، 1395هـ/1975م، ج. 1، ص. 483.
- 77 - ابن رجب، المصدر السابق، ج. 4، ص. 67، 68؛ شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ج. 3، ص. 291.
- 78 - ورد هذا الحديث في صحيح مسلم في باب ثبوت القصص في القتل بالحجر وغيره من المحددات، والمثقلات، وقتل الرجل بالمرأة «أبو الحسن القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ط. ج. 3، ص. 1299».
- 79 - زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، ابن رجب، ذيل طبقات الخبالة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، ط. 1، 1425هـ / 2005 م، ج. 4، ص. 67، 68؛ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت 1420هـ/2000م، ج. 13، ص. 314.
- 80 - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط. 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م، ج. 1، ص. 381، 382؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج. 5، ص. 81؛ الزركلي، المرجع السابق، ج. 7، ص. 122؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ج. 1، ص. 862؛ الصفدي، نفسه، ج. 2، ص. 261.
- 81 - المنذري، المصدر السابق، ج. 3، ص. 485.
- 82 - ابن رجب، نفسه، ج. 4، ص. 68.
- 83 - النعيمي، نفسه، ج. 1، ص. 114؛ الزركلي، نفسه، ج. 1، ص. 43.
- 84 - نفسه، ج. 1، ص. 257؛ الذهبي، العبر، ج. 3، ص. 160.
- 85 - النعيمي، نفسه، ج. 1، ص. 190؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج. 16، ص. 696.
- 86 - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج. 39، ص. 47.
- 87 - قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ط. 2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ / 1292م، ج. 1، ص. 71، الصفدي، نفسه، ج. 17، ص. 313.
- 88 - محمد بن أحمد، ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت د. ت. ط. 220.
- 89 - نفسه، ص. 25.
- 90 - نفسه، ص. 15 وما بعدها.
- 91 - ابن جبير المصدر السابق، ص. 232.
- 92 - شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان د. ت. ط. 2، ص. 379، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط. 1، 1387 هـ - 1967 م، ج. 1، ص. 496، شمس الدين أبو الخير، ابن

- الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ط.1، 1351هـ،
براجستراسر، ج.2، ص.386، عبد الحي ابن العماد العكري
الحنيلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود
الأرنؤوط وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، ط.1،
دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ - 1986م، ج.6، ص،
ص.413-414
- 93- الجزري، المصدر السابق، ج.2، ص.21،
الزركلي، المرجع السابق، ج.3، ص.346
- 94- سلام، شاهين المدارس الإسلامية في مصر في العصر
الأيوبي، ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه في
الفلسفة والآداب، شعبة التاريخ الإسلامي، جامعة طنطا،
1420هـ/1999م، ص.185
- 95- ابن الجزري، نفسه، ج.2، ص.22.
- 96- نفسه، ج.2، ص.22.
- 97- المقرئ، المصدر السابق، ج.4، ص.327،
الزركلي، المرجع السابق، ج.1، ص.237
- 98- المقرئ، المواعظ، ج.4، ص.219؛ ابن عبد
الظاهر، نفسه، ص.86؛ د.أحمد فكري، مساجد القاهرة
ومدارسها، العصر الأيوبي، ج.2، د.ت. ط.، ص.55؛
السخاوي، المصدر السابق، ص.20؛ ابن دقماق، إبراهيم
بن محمد بن أيمن العلائي، الانتصار لواسطة عقد الأمصار في
تاريخ مصر وجغرافيتها، بيروت، د.ت. ط.، ص.30.
- 99- المنذري، المصدر السابق، ج.2، ص.343
- 100- شاهين، نفسه، ص.16
- 101- الزركلي، نفسه، ج.5، ص.44
- 102- ابن خلكان، المصدر السابق، ج.3، ص.450،
- الذهبي سير أعلام النبلاء، ج.16، ص.281 وما بعدها، ابن
واصل، المصدر السابق، ج.5، ص، ص.167-168،
حاجي خليفة، المرجع السابق، ج.2، ص.1067، الزركلي،
نفسه، ج.6، ص.146
- 103- المقرئ، نفسه، ج.2، ص.100 وما بعدها،
- 104- عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد،
محيي الدين الحنفي، الجواهر المضوية في طبقات الحنفية، ج.2،
ص.214، زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا السودوني،
تاج التراجم في طبقات الحنفية، المحقق: محمد خير رمضان
يوسف، ط.1، دار القلم، دمشق 1413هـ - 1992م،
ج.2، ص.130، محمد الصغير بن لعلم، من علماء زواوة
منشورات المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر، 2013، ص.23،
يوسف بن إلبان بن موسى سركيس، معجم المطبوعات العربية
والمعربة، مطبعة سركيس بمصر 1346هـ - 1928، ص.246
- 105- شهاب الدين الرومي الحموي، معجم الأدباء،
تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1،
1414هـ/1993م، ج.6، ص.2831، بن لعلم، نفسه،
ص.25، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج.16، ص.239
- 106- الصفدي، المصدر السابق، ج.2، ص.84،
الزركلي، المرجع السابق، ج.5، ص.321، أبوشامة، ذيل
الروستين، ص.164، المنذري، المصدر السابق، ج.3،
ص.474، تقي الدين المقرئ، المقفى الكبير، تحقيق محمد
اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1411هـ/1994م،
بيروت، ج.5، ص.210
- 107- ابن أصيبعة، المصدر السابق، ص.602، الزركلي،
نفسه، ج.4، ص.67
- 108- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسين، العقد
الشمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الحقي، ط.2،
مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م، ج.6،

ص.181، الزركلي، المرجع السابق، ج.7، ص. 137.

109 - الفاسي، المصدر السابق، ج.2، ص، ص. 74،
75، باقاسي، عائشة عبد الله، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي
567هـ - 648هـ/1171م - 1250م، بحث مقدم لنيل
درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز،
المملكة العربية السعودية، 1399هـ - 1400هـ/ 1979م -
1980م، ص، ص.160، 161.